

التبيان في تفسير القرآن

(62) اخبر الله تعالى انه بما فعله بالامم التي أهلكها لم يظلم احدا منهم، ولكن ظلموا هم انفسهم بأن ارتكبوا المعاصي التي استحقوا بها الهلاك فكان ذلك ظلمهم لانفسهم، وبين انه " ما أغنت عنهم آلهتهم " يعني الاوثان التي كانوا يعبدونها من دون الله ما دفعت عنهم ولا اعانتهم بشئ لما جاء امر الله واهلاكه وعذابه " وما زادوهم غير تنبيب " بمعنى غير تخسير - في قول مجاهد وقتادة - مأخوذ من ثبت يده أي خسرت، ومنه تباله، وقال جرير: عرادة من بقية قوم لوط * ألا تبا لما فعلوا تبا يا (1) وانما قال يدعون من دون الله، لانهم كانوا يسمونها آلهة ويطلبون الحوائج منها، كما يطلب الموحدون من الله. ومعنى " من دون الله " من منزلته ادنى من منزلة عبادة الله، لانه من الادون، وهو الاقرب إلى جهة السفلى. قوله تعالى: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) (103) آية بلاخلاف. وجه التشبيه في قوله " وكذلك اخذ ربك " ان اخذه الظالم الذي يساوي من تقدمه في ظلمه وحاله في بطلان الفلاح ببقائه، كأخذه الذي قبله، لانه ليس هناك محاباة لاحد من خلقه. والاخذ نقل الشئ إلى جهة الآخذ، فلما نقلهم الله إلى جهة عقابه كان قد اخذهم به، والظالم الفاعل للظلم والعادل الفاعل للعدل. ثم اخبر تعالى ان اخذه للظالم مؤلم شديد، والشدة تجمع يصعب معه التفكك، ويقال للنقص شدة، وشدة الالم لجمعه على النفس بما يعسر زواله.

(1) ديوانه: 72 من قصيدة في هجاء الراعي النميري، وهو في